- فهم كتابي للتأديب الكنسي
- فهم كتابي للتلمذة والنمو
- فهم كتابي للقيادة في الكنيسة

يوجد المزيد أيضًا مما ينبغي للكنائس أن تعمله كي تصير صحيحة وسليمة، كالصلاة. إلا أن هذه الممارسات التسعة هي تلك التي نعتقد أنها أكثرها تعرُّضًا للإغفال اليوم (على عكس الصلاة). وبالتالي، فإن رسالتنا الأساسية للكنائس هي: لا تتطلعوا إلى أفضل الممارسات العملية، أو إلى أحدث الطُرُز والأساليب؛ بل تطلَّعوا إلى الله. وابدأوا بالاستماع مرة أخرى إلى كلمته.

ومن داخل هذا المشروع الشامل تأتي سلسلة كتب «٩ علامات». تهدف هذه الكتب إلى فحص ودراسة العلامات التسعة بأكثر تمعُّن، ومن زوايا مختلفة. ويستهدف بعضها الرعاة، بينما يستهدف البعض الآخر أعضاء الكنيسة. ونأمل أن تدمج جميعها بداخلها فحصًا كتابيًا متمعِّنًا، وتأملًا لاهوتيًّا، واهتمامًا ثقافيًا، وتطبيقًا جماعيًّا، بل والقليل أيضًا من التحريض الشخصي. فإن أفضل الكتب المسيحية هي تلك اللاهوتية والعملية في آن واحد.

صلاتنا أن يستخدم الله هذا الكتاب والكتب الأخرى[٢] لتهيئة عروسه، الكنيسة، في مجد وبهاء وفخامة ليوم مجيئه.

٢ صدر من هذه الكتب حتى الآن
«قوة الإنجيل ورسالته» لـ بول واشر
و«التبرير والتجديد» لـ تشارلز لايتر
و«الوعظ التفسيري» لـ ديفيد هيلم – إصدار خدمة «الحق يحرركم»

تمهيد

الراعي وصباح يوم الأربعاء

في عصر يوم الثلاثاء، وبينما كنت تصارع لقراءة بريدك الإليكتروني، تهاتفك السكرتيرة. فإن سيدة من أعضاء الكنيسة تطلب التحدُّث إليك، ويبدو أنَّ هناك مشكلة. بعد صلاة سريعة أكثر شبهًا بالتنهُّد، تلتقط سماعة الهاتف وتغوص معها في حديث لمدة نصف ساعة يصيبك، وبالتأكيد يصيبها أيضًا، بالارتباك. ثم تُغلق الهاتف، وتتسارع الأفكار في ذهنك بشأن ما يمكن أن تفعله حيال هذا الاكتشاف المفاجئ لما آل إليه الحال بينها وبين زوجها. وبما أنَّ أول شيء ستفعله في صباح اليوم التالي هو أن تلتقي بهما، في محاولة للتصدي لبعض هذه الصعوبات، كيف ستبدأ إذن في الإعداد لصباح يوم الأربعاء؟

إن الرعاة والخدام العلمانيين على حد سواء على دراية جيدة بهذا النوع من المكالمات الهاتفية. بل ربما هم على دراية زائدة عن الحد. اكتئابٌ مستعصٍ، زنا مؤسف، غضب بركاني، خلل مزمن في التواصل، صراعات مليئة بالشعور بالذنب من جراء إدمان المواد الإباحية، اضطرابات الطعام مثل رهاب السعرات الحرارية، سرطان عاود الظهور، انجذاب خفي نحو نفس الجنس، أفكار انتحارية – وهذا فقط على سبيل المثال لا الحصر. فإن الحياة

في عالم ساقط هي حياةٌ من البؤس والشقاء. والبعض غارقون فيه. وهذا ينطبق على من هم بداخل الكنيسة ومن هم خارجها على حد سواء.

ولهذا السببِ أنت راعٍ. فقد دعاك الله كي ترعَى خرافه. وكثيرًا ما يتألم أولئك الخراف، أو يرتبكون، أو يعاندون. لكنك لستَ تعلم بوضوح دائمًا كيف تعتني بهم وترعاهم، ولا سيما في المواقف الأكثر تعقيدًا التي ترهقهم وتؤرِّق حياتهم. ربما تظن أنك راعٍ مشير، وربما لا تظن ذلك، لكن مُجمل الأمر هو أنك دُعيت كي تتعب وتشتغل لأجل مشكلات رعيتك المزعِجة والمؤرِّقة. وهذا تعبٌ جديرٌ بالعناء.

إليكَ هذا الكتاب التمهيدي. فإننا في مسيرة خدمتنا كثيرًا ما نتلقَّى مكالمات هاتفية في اللحظات الأخيرة من رعاة يحتاجون إلى مساعدة في التفكير بتمعُّن ومحاولة التعامل مع مواقف قاسية وصعبة يواجهونها في الكنيسة.

«في خلال خمس عشرة دقيقة، سألتقي بزوجين على وشك الانفصال. وإليك ما أفكِّر في فعله ...»

«أقرَّ لي شابٌ في كنيستنا لتوه بأنه يشعر بانجذاب نحو نفس الجنس. أحتاج إلى متابعته، لكن لا أعلم ما ينبغي أن أقول ...»

«اكتشف والدان من كنيستي مؤخرًا أن ابنتهم تعاني من اضطراب فقدان الشهية. هل يوجد مكان معيَّن يمكن أن أوجِّههم إليه؟

غالبية الرعاة يعوزهم الوقت، وتُثقل كاهلهم الكثير من المسؤوليات الأخرى. أضف إلى هذا بعض الحقائق المشترَكة التي تؤرِّق عمل الراعي:

- غالبية طُلاب كليات اللاهوت لا يحصلون سوى على دورة دراسية واحدة أو دورتين في المشورة ضمن برنامج دراستهم. ولهذا فهم عادة ما يخطئون في تقدير حجم المشورة التي سيقدمونها في بداية توليهم وظيفتهم الرعوية.
- يشغل غالبية الرعاة وظيفة الرعاية كي يعظوا ويُعلِّموا، لا كي يقدِّموا مشورة. فهم يقدمون المشورة لكونها جانبًا متوقَّعًا من الوظيفة، وليس لأنهم متحمِّسون لتقديمها.
- تحوي كلٌّ من الكنائس صغيرة الحجم وكبيرة الحجم أناسًا أفسدوا حياتهم وخرَّبوها. لكن لا تُتاح للكنائس صغيرة الحجم، ولا سيما تلك الواقعة في مناطق قروية، سوى القليل جدًا من الموارد في مجتمعها كي تستقي منها المساعدة. أحيانًا ما يكون الراعي والكنيسة هما الموارد الوحيدة المتاحة.
- يتوقع أعضاء الكنيسة أن يساعدهم راعيهم في صراعاتهم. ففي النهاية، هم يموِّلون راتبه، وبالتالي، يتوقعون منه أن يخصص لهم من وقته، بل أن يخصص الكثير منه.

بل ربما يفترضون أيضًا أن الراعي لديه إمكانية وصول فوري إلى حلول وإجابات الكتاب المقدّس عن مشكلات الحياة.

- تَميل الخراف الواهنة إلى أن يَستنزِفوا بمشكلاتهم، ومطالبهم، قدرًا غير متناسق من جدول أعمال الراعي، وأحيانًا يكون هذا فقط بأنانية منهم. وعادة ما يصاحب هذا القليل من الامتنان لله لأجل العناية المشابهة للمسيح التي يتلقونها من راعيهم ومن الكنيسة.
- غالبية أعضاء الكنيسة يتركون مشكلاتهم تتفاقم وتسوء أكثر من اللازم، ثم في النهاية يضطرون للتغلُّب على كبريائهم وطلب المساعدة. أولئك تخدعهم أفكارٌ من قبيل: «لا أريد أن ينظر لي الراعي نظرة دونية»، أو «أستطيع تولِّي الأمر بمفردي». لو طلب هؤلاء المساعدة في وقت مبكِّر، لجنَّب هذا الجميع الكثير جدًا من العرق والدموع.

ماذا عساه الراعي أن يتصرف أمام كل هذا؟ ربما قد تلقَّى قدرًا ضئيلًا من التدريب على تقديم المشورة. وربما كانت خرافه واهنة، تضغط على نحو جسيم على وقته. وربما لا يحظى في كنيسة سقيمة بفرصة للاستفادة من المساعدة العلاقاتية الثمينة. لا يبدو كل هذا مبشرًا بالخير، أليس كذلك؟

عزيزي الراعي، هل يمكننا مساعدتك؟

نود مساعدتك بأن نقدم لك إطارًا أساسيًّا تواجه بداخله مشكلات شعبك وأزماتهم. ربما لا تملك الكثير من الوقت، وربما تخشى أن تصيب شخصًا بضررٍ مستديمٍ. أو ربما لا ترغب ببساطة في التعامل مع هذه الأمور. ما تحتاجه إذن هو أن نذكِّرك بأن إنجيل يسوع المسيح له السلطان والقوة في هذه المواقف، وأن نقدم لك أيضًا بعض الإرشاد العملي بشأن الخدمة في ضوء ذلك السلطان وتلك القوة.

إليك ما نريد أن نغطيه في هذا الكتاب صغير الحجم. في القسم الأول، المكوَّن من الفصول الثلاثة الأولى، سنتناول **مفهوم** تقديم المشورة. في الفصل الأول، نعرِض رؤيتنا عما يعنيه أن تتعب لأجل شعبك. وهذه هي الفكرة التي نريد أن نقدمها ببساطة: إن **الرعاة يرعَون**. فإن الرعاة مكلَّفون بأن يتلمذوا، وعادة ما ستشمل هذه التلمذة تقديم مشورة لأناس يواجهون مواقف صعبة. ينبغي لهذه الحقيقة ألا تزعجك، أو تصيبك بالارتباك أو الرعب، بل لا بد أن تجعلك تنظر إلى العناية بالمتضايقين باعتبارها جزءًا من امتياز محبتك ليسوع. **ارعَ غنمه**. ثم في الفصل الثاني، سنساعدك أن تعرف كيف تُعِدُّ لتقديم المشورة – كيف تبدأ المشورة، ومن يبدأها، وكيف تنسِّق كل شيء كي تسير العملية على نحو سلس بقدر الإمكان. ثم يعرض الفصل الثالث **المنهجية** الرئيسية لتقديم المشورة. وفيه نقدِّم تقنية جيدة لاستكشاف مشكلة الشخص الحقيقية، ثم كيف

يكـون لديـك شـيء وثيـق بكفايـة عمـل المسـيح الفدائـي تقولـه لـه. كمـا نناقـش أيضًـا أنـواع الأسـئلة التـي يمكـن أن نطرحهـا، وجوانـب حيـاة الشـخص وثيقـة الصلـة بالمشـكلة، التـي لا بـد أن نستكشـفها، وكيـف نتجـاوب مـع مشـكلاتنا بطـرق مجديـة كتابيًـا.

يتتبّـع القسـم الثانـي مـن الكتـاب، أي الفصـول مـن الرابـع إلـى السـادس، **عمليـة** المشـورة، منـذ المقابلـة الأولـى وحتـى الحديـث الأخيـر. وفـي هـذه الفصـول نقـدِّم نصائـح للتعـرُّف علـى ديناميكيـات القلـب، والفهـم اللاهوتـي للمشـكلات، واسـتخدام اسـتراتيجيات افتدائيـة لإحـداث تغييـر. نريـد أن تسـاعدك هـذه الفصـول علـى أن تجيـب عـن هـذا السـؤال: كيـف تبـدو عمليـة العنايـة بهـذا الشـخص؟

يقـدِّم الجـزء الثالـث والأخيـر مـن هـذا الكتـاب، أي الفصـلان السـابع والثامـن، **سـياق** تقديـم المشـورة. توجـد المشـورة الرعويـة فـي سـياق مجتمـع الكنيسـة، وأيضًـا مجتمـعٍ مـن المـوارد خـارج الكنيسـة. يتنـاول الفصـل السـابع حقيقـة أنـك، كـراعٍ، لا تسـتطيع أن تتعـب بمفـردك. مـن غيـر الممكـن أن تفعـل كل شـيء، وتظـل محتفظًـا مـع هـذا بسـلامة عقلـك. ولـذا، سنسـاعدك علـى أن تفكِّـر فيمـا يعنيـه أن تنشـئ ثقافـة تلمـذة فـي كنيسـتك، مـن شـأنها أن تكمـل نقائـص أيـة مشـورة تُقـدَّم، وتثريهـا. مـا الـذي يعنيـه أن تنشـئ ثقافـة يسـاعد فيهـا الأعضـاء أحدهـم الآخـر ليزدهـروا ويتقدمـوا فـي إيمانهـم؟ ثـم يُلقِـي الفصـل الثامـن نظـرة إلـى الخـارج، إلـى المجتمـع، متطلعًـا إلـى المـوارد الأخـرى المتاحـة مـن مشـيرين، أو أطبـاء، أو مـوارد علاقاتيـة أخـرى. هـل مـن الحكمـة

فـي الأسـاس أن نلجـأ إلـى خـارج الكنيسـة؟ إن فعلـتَ هـذا، كيـف يمكـن أن تثـق فـي أن طبيبًـا مـا سيسـاعد عضـو كنيسـتك، ولـن يؤذيـه؟ مـاذا إن لـم تسـتطع أن تجـد مشـيرًا فـي مجتمعـك متقاربًـا معـك فـي الفكـر، بـل وجـدتَ فقـط مـن يعملـون مـن منطلـق المذهـب الطبيعـي؟ مـا أكثـر الأسـئلة التـي تثـار فـي هـذا الشـأن!

ثـم نختـم الكتـاب ببعـض المسـاعدات العمليـة النافعـة، بـدءًا مـن تعريـف بسـيط للمشـورة الكتابيـة وحتـى طريقـة لتدويـن الملاحظات. الهـدف مـن هـذه المسـاعدات هـو أن تسـتخدمها، ونأمـل أن تسـاعدك في هذا التعب الجدير العناء.

القـوة الحقيقيـة فـي المشـورة - شـخص يسـوع المسـيح

صدقًـا، لا أحـد يتوقـع أن يغيِّـر كتـابٌ واحـدٌ صغيـرٌ عالمـك. لسـنا نهـدف إلـى أن نمكِّنـك مـن التعامُـل مـع كل مـا يعتـرض طريقـك، بـل نهـدف بالأحـرى إلـى أن نمـدَّك بثقـة فـي أن لديـك فـي كتابـك المقـدّس كل مـا تحتاجـه كـي تتصـدَّى لمشـكلات شـعبك. لا تَكمُـن ثقتـك فـي تقنيـة مشـورة فائقـة التطـور، ولا حتـى فـي نفسـك، بـل فـي قـوة الله وقدرتـه علـى تغييـر البشـر.

تسـتند ثقتـك الحقيقيـة علـى القـوة المغيـرة للحيـاة لبشـارة يسـوع المسـيح. ففـي النهايـة، يعـد يسـوع هـو نموذجنـا الـذي نـرى فيـه كيـف يمكـن للبشـر أن يـؤدوا عملهـم بأفضـل صـورة، وكيـف يكونـون

في أفضل حال. فهو قد جاء إلى عالم يعاني من خللٍ وظيفي، كبديل عن بشر مثلنا يعانون من خللٍ وظيفي. فإن الخطية تجعلنا أجنبيين عن الله، وتجعل كل شيء آخر مغتربًا ومنسلخًا عنه. ولهذا نتألم، ولهذا نخطئ. لكنَّ يسوع قد صالح ما قد صار أجنبيًا بأن سدَّد ثمن الخطايا بموته. والآن هو حي ثانية، يغيِّر البشر كي يسلكوا بحسب بره، وبموجب علاقة قد تأسست من جديد مع الله. فإن الله، بواسطة ابنه المجيد، هو إذن من يغيِّر البشر.

إليك ما نقصده بأكثر دقة وتحديدًا: نحن البشر قد خُلقنا لنُعلِن طبيعة الله من خلال الكيفية التي نفكر بها، ومن خلال رغباتنا، وتصرفاتنا. حين تنبثق فكرة قاسية، أو رغبة شهوانية، أو نوايا أنانية من قلب إنسان، فإن ذلك القلب إذن يخفق في إعلان صفات خالقه، أي طول أناته، وطهارته، وسخائه تجاه الآخرين. باختصار، صُمِّم كل ما بداخل الإنسان وخارجه كي يمجِّد الله.

كان قلب يسوع هو القلب الوحيد الذي أعلَن بشكل كامل طبيعة الله – لأنه هو الله نفسه. لكنه أيضًا إنسان، مثلنا. وبالتالي، لاق به أن يكون ممثِّلنا، ومثالنا، ومنقذنا (العبرانيين ٤: ١٤-١٦). ونتيجة هذا، ومن جهة المشورة، لا بد أن نضع في اعتبارنا النقاط التالية:

- يسوع المسيح هو **وسيلة التغيير**. فإن الإيمان بإنجيله يغيِّر من استجابات قلوبنا. على كل حكمة نظرية أو نصيحة عملية في المشورة أن يكون دورها الرئيسي هو تعزيز علاقة بيسوع المسيح بواسطة الإيمان.

- يسوع المسيح هو **غاية التغيير**. فإن إعلان طبيعته هو نموذج النضج والكمال الذي نجتهد كي نبلُغه. ربما لا تتغير الظروف بالمشورة، وربما لا تنتهي المشكلات، لكن يَعِد الله بقوة للتجاوُب معها على نحو يعكس صفات ابنه من طاعة واثقة.

فإن المشورة في أبسط صورها هي شخصٌ يسعى كي يسير بجوار شخص آخر ضلَّ طريقه. يمكن للتدريب المحترف أو البرامج الأكاديمية أن تكون نافعة للغاية لصقل المهارات؛ لكن حتى إن لم يتسنى لك أن تحصل على كل هذا، تستطيع أن تقدم المشورة إن كنتَ تقبل من كل قلبك كلمة الله باعتبارها هي الكلمة التي تنير الطريق أمام البشر كي يروا احتياجهم الأعظم ورجاءهم الأعظم.

أيها الراعي، هذا التعب جديرٌ بأن تصرف فيه وقتك. رجاؤنا هو أن نؤهِّلك بالأدوات الأساسية كي تبدأه. فإن الإطار الذي نقدِّمه هنا هو محاولة منا لأن نكون باسلين في استخدام حق الإنجيل للتعامل مع المشكلات التي تؤرِّق رعيَّتنا. وصدقًا، ربما من الأسهل كثيرًا أن نحاول الإطاحة بجميع هذه المشكلات والتخلُّص منها بواسطة توجيهات عامة من فوق المنبر، أو بإحالة الناس إلى أي مكان آخر. لكن عناية راعٍ بشعبه بمهارة هو تعبٌ جدير بالعناء.

القسم الأول

مفهوم المشورة

الفصل الأول

تعبٌ لأجل شعبك

تنبعث من رعاة الأغنام رائحة كريهة. من الرعاة الصالحين على الأقل. فإن الراعي الصالح يلازم خرافًا كريهة الرائحة، فتنتقل إليه رائحتها.

لكنَّ هذه الرائحة الكريهة ليست رائحة الخراف فحسب، بل تفوح من الرعاة أيضًا رائحة العرق، بل والدماء. فإن وجوههم، نظير العُمّال العاديين، متعرِّقة، وظهورهم منحنية. كما أنَّ أعينهم، نظير الجنود العاديين، منهَكة، وأذرعهم تملأها الندوب. ولهذا كثيرًا ما يشعرون بالإعياء، وبأنهم قد أُنفَقوا، وبأن مواردهم قد نضبت. وهم قد قبِلوا حقيقة أن هذا النوع من العمل يستلزم هذا القدر عينه من التعب. لن تلتقي يومًا براعي أغنام صالح لا يزال عند العصر منتعشًا ومشرق الوجه.

كذلك أيضًا، لن تلتقي يومًا براعي كنيسة صالح لديه توجُّه مرح تجاه عمله ومهامه. فهو لا يتلهَّف للقيام بالعمل الشاق المختص بالعناية بالمعاندين والمتألمين، بينما لا يزال عليه أن يرعى ويحمي جميع الآخرين أيضًا. قطعًا، تأتي أيام على كلِّ راعي كنيسة يُغوَى فيها بأن يرفع عينيه إلى السماء ويَطرح هذا السؤال: لماذا كل هذه المشكلات التي تأتيني باستمرار من هؤلاء البشر؟ لكنه يجد بداخله

إيمانًـا يجعلـه يَقبَـل بـأن مهمتـه صعبـة وشـاقة. فقـد جعلهـا الله كذلـك كي يُفرِغ الراعي من ذاته، ليمتلئ بقوة المسيح.

الخدمة العامة، والمشكلات الفردية

لـم نسـمع يومًـا ادعـاءً صريحًـا بسـهولة الخدمـة الرعويـة. لكننـا رأينـا بالفعـل الكثيـر مـن الرعـاة الذيـن يحاولـون جعلهـا كذلـك. كمـا رأينـا العديـد مـن الرجـال الذيـن ينضمـون إلـى الخدمـة الرعويـة لأجـل خدمـة المنبـر. ومـا نقصـده **بخدمـة المنبـر** هـو أن يحصلـوا علـى أجـرٍ مقابـل أن يعظـوا ويعلِّمـوا، ربمـا مـع القيـام بزيـارة رعويـة مـن آن لآخـر. يَعلَـم هـؤلاء أهميـة الخدمـة الفرديـة، والمشـورة، ولهـذا يخططـون لزيـادة ميزانيـة الكنيسـة مـن خـلال مهاراتهـم المذهلـة علـى المنبـر، ثـم يوظفـون راعيًـا مسـاعدًا ليقـوم بـكل هـذه الأعمـال الفرعيـة الأخـرى.

لسـنا نقصُـد أن نبـدو حادين أو لاذعيـن. فقـد كنـا يومًـا مـا فـي عُمـر الشـباب، وكانـت لدينـا آمـال أن نقود شـعبًا مخلِصًـا داخـل غياهب المجهول العظيـم مـن خـلال تفسـير كتابـي فصيـح وتطبيقـات تنخـس القلـب، وأن تشـع قـوة الكلمـة مـن المنبـر كضـوء سـاطع فـي العالـم المعتـم. كنـا نرجـو أن يمسـك الأزواج بأيـدي زوجاتهـم فـي أثنـاء العظـات، ويتوبـوا فـي دمـوع صادقـة فـي ذلـك اليـوم، وأن يقـرِّر المدمنـون فـي الحـال ألا ينغمسـوا ثانيـة فـي هـذا، وأن يخـرُج المكتئبـون من ضبابهـم وارتباكهم عنـد سـماعهم صوتنـا. كنـا نأمـل أن تكـون خدمـة وعظنـا مؤثـرة بمـا يكفـي كـي تجعـل خدمـة المشـورة غيـر ضروريـة، أو علـى الأقـل،

فـي أغلـب الأحـوال غيـر ضروريـة. بالطبـع سـتوجد مـن آن لآخـر حـالات شـاذة منحرفـة عـن المسـار الطبيعـي، لكـن سـتكون الكنيسـة صحيحـة وسـليمة بسـبب خدمـة الوعـظ.

لكـن منعَنـا شـيئان مـن الإصـرار علـى هـذا الحلـم: الخبـرة بالممارسـة (التجربـة) والكتـاب المقدّس. إن الخبـرة بالممارسـة معلِّمٌ قـاسٍ وصـارم، إذ تنبهنـا علـى الفـور أننـا نبـدأ كوعـاظ قليلـي الكفـاءة بشـكل كبيـر. بـل وحتـى بعـد أـن تـزداد كفاءتنـا، نكتشـف أن الوعـظ الـذي تحسَّـن لا علاقـة لـه بالضـرورة بتناقُـص المشـكلات فـي حيـاة رعيَّتنـا. بـل فـي حقيقـة الأمـر، انتـقِ الآن واعظـك المفضـل، وسـتجده يرعـى كنيسـة ذات ميزانيـة أكبـر، لكـن ليسـت دون مشـكلات أقـل فـي حيـاة رعيَّتهـا. إن التجربـة لـن تُفسِـح مجـالًا للوهـم القائـل إن الوعـظ هـو كل مـا تتعلـق بـه الخدمـة الرعويـة.

كـي نكـون واضحيـن وضـوح الشـمس، نقـول إن الوعـظ هـو الخدمـة الحيويـة والمركزيـة **الأوحـد** لإرسـالية الكنيسـة. فهـو غـرض رئيسـي لاجتمـاع الجسـد، وأسـاس أيـة خدمـة فرديـة نقـوم بهـا. ولهـذا، لا تسـيئوا فهـم مـا نقصـده هنـا. لسـنا نشـكك فـي أوَّليـة خدمـة الوعـظ. بـل نشـير فقـط إلـى أنهـا ليسـت المجـال الوحيـد لممارسـة خدمـة الكلمـة فـي حيـاة الكنيسـة.

لكـن، لـن تكفـي التجربـة (المعرفـة المكتسـبة بالممارسـة) وحدهـا كمعلِّـمٍ للتأكيـد علـى هـذه الفكـرة. ليـس الأفضـل أن نكتفـي بالتعلُّـم

مما لا يجدي نفعًا في العالم الواقعي، بل أن نتعلم ما تمثِّله الرعاية بالنظر إلى ما يقوله الكتاب المقدّس.

الخدمة الفردية في الكتاب المقدّس

كانت عينا بطرس على الأرجح قد أصابهما الإنهاك فيما بدأت شمس الصباح في تدفئة الشاطئ. ربما تفرَّس عن قربٍ في وجه يسوع بعد القيامة فيما كانوا يتناولون طعام الإفطار في صمت، بينما شعر جميع التلاميذ بخجلٍ شديدٍ منعهم من أن يسألوا إن كان هذا حقًا هو يسوع أم لا. كانوا بانتظار أن يفتتح يسوع الحديث.

«يَاسِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟»

تعرِفون بقية القصة. فقد طرح يسوع على بطرس هذا السؤال ثلاث مرات. وفي المرة الثالثة، حزن بطرس إذ بدا له أن يسوع لم يقتنع تمامًا بجوابه. لكن في كل مرة، وجَّهه يسوع إلى الكيفية التي يبرهن بها له عن محبته الحقيقية: «**ارْعَ غَنَمِي**» (يوحنا ٢١: ١٥-١٩). فإن محبتنا ليسوع تتطلب العناية بمن هم له. والعناية بمن هم له ستتطلب الموت. بالنسبة لبطرس، كان هذا الموت حرفيًّا، إذ تنبأ يسوع «**مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ بِهَا**» (عدد ١٩)

الخدمة الرعوية معاناة

بينما نُقر بأن دعوة بطرس كرسول كانت فريدة، لكننا مدركون أيضًا أن مسيرة اتباع يسوع في قيادة كنيسته ستشمل كلًا من تعب رعاية الغنم، ومقاساة آلام على يد الآخرين.

فبعد عدة سنوات من هذا الحدث، أوضح بطرس، الذي كان قد صار مخضرَمًا، هذه الصلة بصورة ملحة:

> **«أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا** (حراسًا)، **لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ** (بدافع الواجب) **بَلْ بِالاخْتِيَارِ** (بدافع التطوع)، **وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ** (يتسلط على الرعية التي وضعها الله أمانة بين أيديكم)، **بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً** (قدوة) **لِلرَّعِيَّةِ. وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى»** (بطرس الأولى ٥: ١-٤)

يعود سلطان بطرس كرسولٍ، جزئيًّا، إلى كونه شاهدًا لآلام المسيح. وقد سلَّط الضوء على آلام المسيح لأنها كانت ضرورية كي يُعلَن المجد. كانت هذه فكرة رئيسية منتشرة عبر كل رسالته (بطرس الأولى ١: ٦-٧، ١١؛ ٢: ٢١-٢٥؛ ٣: ١٣-١٧، ١٨-٢٢؛ ٤: ١، ٧، ١٢-١٩). وكان من شأن بطرس أن يصير يومًا ما شريكًا في هذا المجد، وهكذا أيضًا كل راعي (قسيس) كنيسة يرعى رعية الله إلى أن يأتي المسيح ثانية.

لكن كي يبلُغ الرعاة هذا المجد، لا بد أن يتألموا. لماذا إذن أوصى بطرس قارئيه بأن يتولوا هذه المهمة بالاختيار، بل وبنشاط،

لا عن اضطرار، سوى لأجل هذا السبب؟ فإننا بطبيعة الحال لا نرغب في تولِّي مهامًا لا تُربِحنا شيئًا («**لاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ**»)، أو مهامًا لا نضمن أن تسير على هوانا («**لاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ**»). فإننا بالطبيعة لا نرغب في الاقتراب كثيرًا من الأمانة النموذجية في الألم. لكن على الأغلب تردد صدى الكلمات التي تكلَّم بها يسوع لبطرس في ذلك الصباح على الشاطئ في أذن هذا الرسول فيما كان يخُط هذا التحريض لشركائه من الرعاة. فإن وصية «**ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ**» تبدو كثيرة الشبه بوصية «**ارْعَ غَنَمِي**».

رأى بطرس يسوع صاعدًا إلى السماء، وقد جعل هذا الصعود من كل كدٍّ كان عليه أن يقاسيه نيابة عن خاصته جديرًا بكل عناءٍ. فقد علم أن يسوع يشغل مكانه الآن في السماء صائرًا رئيس الرعاة، أي المسؤول مسؤولية تامة أن يحرس ويحفظ كل واحد من غنمه. حقًا هذا تعب جدير بالعناء.

الخدمة الراعوية هي خدمة فردية

لكن حتى الآن، لم نبيِّن سوى أن الكتاب المقدّس يشير إلى كون رعاية رعيَّة الله تتضمن التعب والمعاناة والألم؛ لكننا لم نبيِّن بعد أن الكدَّ لا يكمُن فقط في المناداة العامة، بل أيضًا في الخدمة الفردية. وكي نفعل هذا، دعونا نتطلَّع معًا إلى بولس كنموذج ممتاز لرجل كدَّ وكافح في المناداة العامة، بينما انخرط أيضًا في تعب الخدمة الفردية.

كان بولس منارة عامة للكرازة بالإنجيل، وقد دُعي من الله ليتألم في هذا التعب (أعمال الرسل ٩: ١٥-١٦). فقد نادى بالإنجيل جهارًا في المجامع، وجلب هذا عليه تهديدات بالموت (٩: ٢٠-٢٥). كما نادى أيضًا بالبشارة جهارًا في قُبْرُسَ (١٣: ٤)، وأنطاكية (١٣: ١٤)، وأيقونية (١٤: ١)، ومدن عديدة في لِيكَأُونِيَّةَ (١٤: ٦-٧)، ومواضع أخرى لا تُحصى. كان القسم الرئيسي من خدمة بولس هو المناداة العامة بالإنجيل.

لكن إن ختمنا حديثنا عند هذا الحد، فإننا بهذا نتجاهل مقاطع كبرى وهامة من خدمة بولس. فقد أظهَرت رسائله إلى الكنائس قلبَ رجلٍ تعب لساعات طوال في عنايته بشعب الله. بل أشار بولس في حقيقة الأمر إلى آلامه وتعبه بين الناس باعتبارها أوراق الاعتماد التي تُثبِت أنه دُعي من الله، على خلاف أولئك الذين استخدموا أساليب الإثارة والإبهار الأرضية لإثبات كونهم مدعوين من الله. فقد تعرَّض بولس لضربات، ورجم، وانكسار للسفينة في تعبه الفردي لأجل شعب الله (كورنثوس الثانية ١١: ٢٣-٣٠). أيضًا يتحدث بولس عن كون خدمته نابعة من «**حنين**» إلى من هم تحت رعايته، حنين شديد حتى أنه هو، وسلوانس، وتيموثاوس كانوا يرضون «**أَنْ نُعْطِيَكُمْ، لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضًا، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا**» (تسالونيكي الأولى ٢: ٨). فقد قاسى «**تعبًا وكدًّا**»، ليكسب قوته كي لا يُثقل على أحد منهم، حتى أنه استطاع أن يقول «**كَيْفَ كُنَّا نَعِظُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالأَبِ لأَوْلاَدِهِ، وَنُشَجِّعُكُمْ، وَنُشْهِدُكُمْ**

لِكَـيْ تَسْـلُكُوا كَمَـا يَحِـقُّ للهِ الَّـذِي دَعَاكُـمْ إِلَـى مَلَكُوتِـهِ وَمَجْـدِهِ» (٢: ١١-١٢). هوذا رجلٌ تعب بين رعيَّته لصالحهم.

لـم تقتصـر خدمـة بولـس إذن علـى المنبـر. فـإن اهتمامـه بالآخريـن لـم ينتـهِ عنـد تواجدهـم فـي خدمتـه العامـة، هـذا الشـيء نفسـه الـذي يمثـل إغـواءً لجميـع الرعـاة. أيهـا الرعـاة، إن كنـا نـرى وظيفتنـا بشـكل رئيسـي مـن حيـث تأثيرهـا العـام، فإننـا سـنفقد اهتمامنـا إذن بالخدمـة الفرديـة، وسـنخفق فيهـا. أحيانًـا ننزعـج حيـن يتـرُك النـاس كنيسـتنا، أكثـر مـن انزعاجنـا مـن كونهـم يتألمـون. لكـن لـم تكـن هـذه أحشـاء بولـس، بل ولم تكن أحشاءقلب ذاك الذي يتبعه.

يسـتفيض بقيـة العهـد الجديـد فـي الحديـث عـن الطبيعـة الفرديـة للخدمـة الرعويـة. وسـتفيدنا ثلاثـة مـن تعاليمـه فـي تناوُلنـا لمهمـة تقديـم المشـورة. فـإن الخدمـة الفرديـة تتضمـن (١) الاتحـاد بضعـف الآخريـن وخطاياهـم، (٢) التكلـم إلـى الله نيابـة عـن الآخريـن، و(٣) التكلُّـم إلى الآخرين نيابة عن الله.

يتضمـن التعـب الرعـوي الاتحـاد بضعـف الآخريـن وخطاياهـم. هـذا هـو **التنـازُل [condescension]**. عـادة مـا تُسـتخدَم هـذه الكلمـة لتنقـل معنـى سـلبيًّا، لأنهـا توحـي بـأن شـخصًا مـا يظـن أنـه أسـمى مـن الآخريـن، ومـع ذلـك فهـو يتحامـل علـى نفسـه كـي ينـزل إلـى مستواهم. لكنَّ هـذا اللفـظ «**تنـازُل**» ملائـم تمامًـا لاتحـاد يسـوع بالخطاة، بمـا أنـه **حقًـا** يسـمو فوقنـا فـي المسـتوى. فقـد كان فـي فـرح واكتفـاء كامـل مـع الآب، إلهًـا علـى الـكل، فـي بهـاء وجـلال، تخدمـه ملائكـة

السماء الذين هم لهيب نـار، دون أي إلـزام مـن نحـو مـن هـم بالأسـفل، أي البشـر الأشـرار الذيـن مررتهـم الخطيـة. ومـع هـذا فـإن هـذا الكائـن الوحيـد فـي كل الكـون الـذي كان ينبغـي أن يُخـدَم مـن الجميـع، هـو نفسـه خَـدَم الجميـع. فقـد نظـر إلـى مـا هـو لآخريـن (فيلبـي ٢: ٤)، ولـم يصـر علـى البقـاء فـي مجـد السـماء الهانـئ، الـذي كان مقتنـاه الإلهـي (٢: ٦). لكنـه فـي المقابـل خدمنـا إذ اتحـد بضيقاتنـا (٢: ٧)، ولا سـيما ضيقتنـا الرئيسـية: المـوت (٢: ٨). فـإن المـوت مشـكلة لـم يكـن بوسـعنا قـط أن نجـد حـلًا لهـا، بـل كانـت تلزمنـا معونـة مـن آخـر. ويوصينـا ذاك الـذي أعاننـا بـأن نتبـع مثالـه: «**فَلْيَكُـنْ فِيكُـمْ هـذَا الْفِكْـرُ الَّـذِي فِـي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ أَيْضًـا**» (٢: ٥).

يسـتلزم موتنـا عـن أنفسـنا لأجـل صالـح الآخريـن أن نتداخـل ونتـورَّط معهـم فـي ضيقاتهـم. هـذا مـا فعلـه يسـوع إذ وضـع نفسـه فـي الوظيفـة الملائمـة كـي يتـرأف علـى الضعفـاء، ويرثـي لهـم: «**لأَنْ لَيْسَ لَنَـا رَئِيسُ كَهَنَـةٍ غَيْـرُ قَـادِرٍ أَنْ يَرْثِـيَ لِضَعَفَاتِنَـا، بَـلْ مُجَـرَّبٌ فِـي كُلِّ شَـيْءٍ مِثْلُنَـا، بِـلاَ خَطِيَّـةٍ**» (عبرانييـن ٤: ١٥). يسـتطيع يسـوع أن يرثـي لضعفاتنـا لأنـه أخضـع نفسـه للاختبـار الفعلـي للتجربـة (العدد ١٥ ب). فقد تداخـل بالفعـل فـي خطـر عالـمٍ ملعـون بالخطيـة، وهـو يسـتطيع الآن أن يترفـق بِالْجُهَّـالِ وَالضَّالِّيـنَ بمـا أنـه صـار يتفهَّـم ضعفهـم (٥: ٢). فـإن ذاك الـذي كان مـن حقـه فـي عـدلٍ أن يوجـد مـن الأزل إلـى الأبـد دون أن يختبـر أي وجـع أو ضيـق، دخـل واقعًـا اتسـم فيـه بكليهمـا. فقـد كان «**رَجُـلُ أَوْجَـاعٍ وَمُخْتَبِـرُ الْحَـزَنِ**» (إشـعياء ٥٣: ٣).

كذلك أيضًا الرعاة الذين يخدمون رعيَّة يسوع. يقف يسوع اليوم في المياه الموحلة لجهل شعبه، وضلالهم، ومعاناتهم، ويحث الرعاة على أن يتقدموا وينضموا إليه. فإن أولئك الرعاة الذين يبغون أن يحذوا حذوه عليهم أن يخوضوا مياهًا مجهولة، إذ يمنعهم السطح المغطَّى بالأوساخ من معرفة مدى عمقها، وتنذرهم الرائحة بشيء كريه يقبع تحت السطح. لكنهم مع هذا يتكلون على ذاك الذي يدعوهم لدخولها.

أيها الراعي، قد نلتَ الحرية كي تتمثل بهذا النموذج لخير وصالح رعيَّتك. كل راعٍ هو عبد ليسوع، **وَلَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ** (يوحنا ١٣: ١٦). أنت مدعوٌّ أن تحمل على عاتقك أخطار وكدَّ مشكلات الآخرين. ونظير يسوع، مد يد المساعدة لمن، من ناحية ما، ليس لهم الحق في أن يطلبوا المساعدة منك. فإن كان رئيس الرعاة متسخًا ومكروبًا، هكذا أيضًا من يتبعونه في هذه المهمة. لا يعني هذا بالضرورة أن تصير المشير الرئيسي في كنيستك، لكنه يعني بالتأكيد أنك في حاجة إلى أن تتعلَّم المهارات اللازمة كي تخدم رعيَّتك في ضيقاتهم.

يتطلب التعب الرعوي التكلُّم إلى الله نيابة عن الآخرين. على الرعاة أن يكونوا تواقين إلى الصلاة، ومواظبين عليها. توجد فائدتان على الأقل نجنيهما من الصلاة التي تفيض من اتحاد وثيق بالآخرين في ضيقاتهم.

أولًا، سيزيد اهتمامك الفردي برعيَّتك من حرارة صلواتك. فإن الراعي غير الجاد في تعبه في وسط رعيَّته عادة ما يكون غير جاد في تعبه أمام الله. بينما سيشعر الراعي الذي يتمخض ويناضل مع الآخرين بالألم والكرب في صلواته نيابة عنهم. حين يبتعد الرعاة عن الخدمة الفردية، لينحصروا في المهام العامة أو الإدارية، يمكن حينئذ أن تغيب عن أنظارهم بسهولة الاحتياجات العميقة الموجودة في وسطهم، وسيكون لهذا مفعول المخدِّر على صلواتهم. علَّمنا يسوع أن نصلي إلى الآب في استماتة شديدة على الملكوت (متى ٦: ٧-١٣)، وحملُك لأثقال شعبك هو ما سيدفعك إلى هذه الصلاة المستميتة.

حين يكون الراعي شاهد عيان على العواقب الوخيمة للغضب في بيتٍ ما، أو حين يجلس مع أرملة خائرة القوى تشعر بأنها لن تتجاوز حزنها قبل عامين، أو يساند مراهقًا على قناعة بأنه أسوأ منحرف في العالم، أو يتكلم مع رجل طفح به الكيل من زواجه – فجأة تظهر أكثر حاجته الماسة إلى الحكمة. فإن معاينة اليأس الذي تتسبب فيه الخطية وعواقبها في حياة الآخرين سيُضفي استماتة مقدسة على صلوات الراعي. فإن شقاء العالم هو عادة ما يحفز صلوات شعب الله، وعلى الرعاة ألا يعزلوا أنفسهم عن هذا المحفِّز.

ثانيًا، ستجعل عنايتك برعيتك فرديًا من صلواتك أكثر تواكلًا. لا شيء يبدو أكثر عُقمًا من التحدُّث إلى شخص مكتئب لانتشاله

مـن قنوطـه، أو إلـى فتـاة تعانـي مـن مـرض فقـدان الشـهية لانتشـالها مـن تقييمهـا غيـر الحقيقـي لنفسـها. وإن أحـد الطـرق المثلـى التـي يمكـن أن تشـعر مـن خلالهـا بعجـزك عـن تغييـر أي شـيء هـو تقديـم مشـورة لضحايـا إسـاءة جنسـية أو جريمـة، أو لأنـاس معانديـن أو ذوي عقـول ضبابيـة مشوشـة، أو لمـن يـزدرون بـك وبالكتـاب المقدّس الـذي تفتحـه. فـإن مسـاندة أنـاس فـي ظـروف مسـتحيلة سـيكون تذكـرة دائمـة للراعـي بحاجتـه إلـى إلـه المسـتحيلات.

يتطلـب التعـب الرعـوي التكلُّـم إلـى الآخريـن نيابـة عـن الله. توجـد أيضًـا صلـة وثيقـة بيـن التعـب الرعـوي – بمـا فـي ذلـك الخدمـة الفرديـة –والمنـاداة. فـإن المنـاداة بالمسـيح للآخريـن هـو كـدٌّ محـض. ومـرة أخـرى نجـد فـي هـذا أنَّ بولـس هـو نموذجنـا الرعـوي: «**الَّـذِي نُنَـادِي بِـهِ مُنْذِرِيـنَ كُلَّ إِنْسَـانٍ، وَمُعَلِّمِيـنَ كُلَّ إِنْسَـانٍ، بِـكُلِّ حِكْمَـةٍ، لِكَـيْ نُحْضِـرَ كُلَّ إِنْسَـانٍ كَامِـلاً فِـي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ. الأَمْـرُ الَّـذِي لأَجْلِـهِ أَتْعَبُ أَيْضًـا مُجَاهِـدًا، بِحَسَـبِ عَمَلِـهِ الَّـذِي يَعْمَـلُ فِـيَّ بِقُـوَّةٍ**» (كولوسـي ١: ٢٨-٢٩).

فـي تعبنـا الرعـوي، المسـيح هـو الرسـالة ومشـابهة صورتـه هـي الغايـة. فإننـا نريـد لمـن هـم تحـت رعايتنـا أن يشـابهوا المسـيح، وهـذا يتحقـق حيـن يَعمَـل الإيمـان بالمحبـة. وبالتالـي، فـإن هـدف الراعـي فـي كل تعبـه هـو أن يسـتدرَّ الإيمـان بالمسـيح مـن خـلال المنـاداة برسـالة إنجيلـه. ينطبـق هـذا علـى المنـاداة العامـة والفرديـة بالكلمـة علـى حـد سـواء. فـإن الإيمـان يعيـد تشـكيل وظائـف القلـب حتـى أن شـخصًا كان قبـلًا تحركـه شـهوته الخاطئـة، وفكـره المظلـم، وولاؤه للأرضيـات،

صـارت الآن تثيـره أكثـر فأكثـر الرغبـة فـي البـر، والفكـر المسـتنير، والـولاء للسـماويات. والوسـيلة الوحيـدة التـي بهـا يبـرُز الإيمـان داخـل القلـب هـي اسـتماع الأذنيـن إلـى المنـاداة بالرسـالة: «**إِذًا الإِيمَـانُ بِالْخَبَـرِ، وَالْخَبَـرُ بِكَلِمَـةِ اللهِ**» (روميـة ١٠: ١٧).

يتطلـب التعـب الرعـوي التكلُّـم إلـى الآخريـن نيابـة عـن الله فـي المسـيح. اتحـد بولـس بقـوة بالمؤمنيـن فـي المسـيح الذيـن كانـوا فـي طـور النمـو، حتـى أنـه قـال إنهـم لـو أخفقـوا فـي المثابـرة فـي الإيمـان، سـيكون تعبـه باطـلًا (فيلبّـي ٢: ١٦؛ انظـر أيضًـا غلاطيـة ٤: ١١). فقد كان تثبيت الإيمـان هـو الهـدف المحـوري لجميـع أتعابه.

تتطلـب المنـاداة بالمسـيح أن يذهـب الرعـاة إلـى المواضـع المعتِمـة فـي حيـاة النـاس – إلـى تلـك المشـكلات المنفِّـرة التـي يعـد تجاهُلهـا أسـهل مـن مواجهتهـا. ربمـا تكـون هـذه المشـكلات زيجـاتٍ تُظهِـر علامـات تفتـتٍ، أو عـادات وأنمـاط مقلِقـة ومنـذرة فـي حيـاة مراهـق، أو انشـقاقات بيـن عضويـن منـذ زمـن طويـل، أو شـكوكًا تجتـاح أحـد العامليـن فـي الكنيسـة، أو التقلُّـب الفكـري لشـابٍ. بغـض النظـر عـن مـدى تعقيـد مشـكلات البشـر، تسـتطيع دائمًـا أن تطـرح علـى نفسـك هـذا السـؤال التوجيهـي: كيـف يمكـن أن يبـدو شـكل الإيمـان بالمسـيح فـي ضيقـة هـذا الشـخص؟

يلـزم المنـاداة بيسـوع فـي تلـك المواضـع المعتِمـة. وعلـى الراعـي ألا يخشـى الذهـاب إلـى هنـاك. صحيـح أن كثيـرًا مـن المشـكلات التـي

ستواجهك في الخدمة الفردية تفوق خبرتك وقدرتك على التعامل معها بكفاءة. لكن ضع في اعتبارك أمرين.

أولًا، كما في كل عملٍ آخر في الحياة، تتطور مهاراتك في اجتياز المواضع المعتِمة وشق طريقك عبرها فقط من خلال **الممارسة**. فإن إمكانيات الراعي ستتطور فقط حين يتولَّى في اتضاع مهمة العناية برعيَّته عن قرب. قطعًا، سيرتكب العديد من الأخطاء في الطريق – بدءًا من افتراضه أنه يفهم حالتهم أكثر من اللازم، وحتى إخفاقه في التكلُّم إليهم بسلطان خوفًا من رد فعلهم. لكن الأخطاء تمثل جزءًا ضروريًا من عملية التغيير إلى الأفضل. فإن مفتاح التقليص من الضرر هو الاتضاع. اخدم الناس بالكلمة، واعلم جيدًا محدوديات منظورك. وسنتحدث في الفصول القادمة بالتفصيل عن كيف يمكن أن تخدم الناس. لكنَّ فكرتنا الرئيسية هنا هي ببساطة أن الخوف من الفشل ينبغي ألا يعيقك عن الذهاب إلى المواضع المعتِمة.

تأكد أنك ستنمو وتتقدَّم في طوال الطريق، إذ ستستوعب مهارات ديناميكيات العلاقات ما بين الأشخاص، وكيفية فحص الأزمات وتقييمها، وكيفية إرشاد الآخرين في التعرُّف على أنماط الفكر أو الرغبة، وكيفية دراسة ومعالجة الأوضاع بطرق مفيدة كتابيًّا. كما هو الحال مع شجرة من الخشب الصلب، سيكون نموك تدريجيًا وغير ملحوظ. لكن حين تنظر إلى الوراء عبر أشهر وسنوات، سيتعذر إنكاره.

ثانيًا، بل والأكثر أهمية، هو أن ثقتك في اجتياز هذه المواضع المعتِمة لا تكمُن فيكَ في المقام الأول، بل في المسيح. تذكروا النص الذي بدأنا به حديثنا. فإن غاية الخدمة الرعوية هو المسيح، لكن تذكر هذا: أيضًا **وسيلة** الخدمة الرعوية هو المسيح. «**الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ**» (كولوسي ١: ٢٩). كان مصدر طاقة بولس هو المسيح، وكان الإمداد الذي يأتيه منها وفيرًا. هذا هو أساس ثقتنا، والسبب الوحيد الذي لأجله قد نجترئ على الغوص في المياه المظلمة لضيقات البشر.

في النهاية، لا تستند ثقتك على مهاراتك، مهما كانت متطورة. بل في المقابل، تكمُن ثقتك في قوة إنجيل يسوع المسيح من خلال المناداة بكلمته. فإن ما ينطبق على المنبر ينطبق أيضًا على غرفة المشورة. فربما في أيامنا الأولى من الكرازة والوعظ كان من الأسهل أن نتكل على الروح القدس، إذ كنا آنذاك على وعي شديد بضعفنا. لكن حين تزداد مهارتنا، تفسيريًا ووعظيًا أيضًا، ننسى بسهولة اتكالنا على تكلُّم الرب من خلال كلمته. أيضًا يمكن أن يحدث هذا بالتأكيد في المشورة، لكن ربما يصعُب أن تتصوَّر هذا الآن. لكن ينبغي ألا يتسبب أي شعور بقصورنا وعدم أهليتنا في المشورة في أن نتجنُّبها؛ بل ينبغي أن يبقينا هذا الشعور متكلين على الله كي يعمل ما يستطيع هو وحده أن يعمله.

ولهذا، أيها الراعي، لا داعي أن تخشى المجهول. إن كنت قد رتَّبت خدمتك الرعوية بحيث تتجنب الرحلات المستمرة إلى داخل